مسرح

الخشبة تستعيد ريمون جبارة إبداعاً وفكراً يمين: رحيله ترك فراغاً لكنه يبقى المعلّم

"الاتي من المخمل قد يصبح وزيرا او رئيس جمهورية، لكنه لن يصبح فنانا، لأن الاخير يأتي من الالم، من العذاب. من حب ضائع. انا جئت من طيبة بيي الكبيرة وفقره". من عمق هذا الوجدان اتى الممثل والمخرج والكاتب المبدع ريمون جبارة، وحلق في ابداعه وفكره، فيما شكلت اعماله نقطة تحول في المسرح اللبناني المعاصر

"مسرحي لا ينتهي حينما تسدل الستارة. اكتب مهجوسا بحث المشاهد على التفكير بعد انتهاء العرض، فالمسرح الذي تفكر بعد مشاهدته اين ستأكل صحنا من الفول ليس مسرحا"، هذا ما قاله يوما "صانع الاحلام" ريمون جبارة (1 نيسان 1935 - 14 نيسان 2015) عن مسرحه حيث ناقش موضوعات مهمة كالقلق والتوتر، الموت والرغبة، السلطة والتاريخ، ضمن قالب فني، فيما اعتبره الكثير من النقاد من رواد مسرح العبث اللبناني. اما عن سبب عمله في الفن فكان يردد جبارة مرارا "عُمِلت فن لاني ما بعرف اعمل غير شي".

تعرف الى المسرح منذ كان يافعا في مدرسة بلدته حين ادى دور القاضي في مسرحية "سقوط غرناطة"، لكنه كتم شغفه بهذا الفن سنوات الى ان التحق بمعهد التمثيل الحديث الذي اسسه المخرج منير ابودبس في العام 1960. وبعد سنة ادى دوره التمثيلي الاول "كريون" في مسرحية "انتيغونا"، ثم دور "اجست" في مسرحية "الذباب" وكلتاهما من اخراج منير ابودبس.

لمع في دور "ريتشارد الثالث" في المسرحية التي تحمل الاسم نفسه والتي اخرجها انطوان ملتقى، ثم في مسرحية "الزنزلخت" من تأليف عصام محفوظ واخراج برج فازيليان، وفي "وصية كلب" المقتبسة التي اخرجتها لطيفة ملتقى.

تتالت ادواره التمثيلية وانتقل في العام 1970 الى التأليف والاخراج، فقدم اول اعماله "دسدمونة" وهي مسرحية مقتبسة طبعها بنزعاته الذاتية وبما فيها من تهكم وسخرية ورفض، وحملها نقدا لاذعا للانسان "الضحية الغبية" في ظل الانظمة العربية والدولية.

اصيب بشلل نصفي نتيجة عارض صحي في بداية التسعينات، وبات يتنقل في سنواته الاخيرة على كرسي متحرك، لكنه ظل على تفاعل وتماس مع الحياة رغم المرض. كما اعاد تقديم العديد من مسرحياته مع ممثلين جدد.

وفيما تصادف في 14 نيسان الذكرى التاسعة لوفاته، وجه "مسرح مونو" تحية الى المسرحي

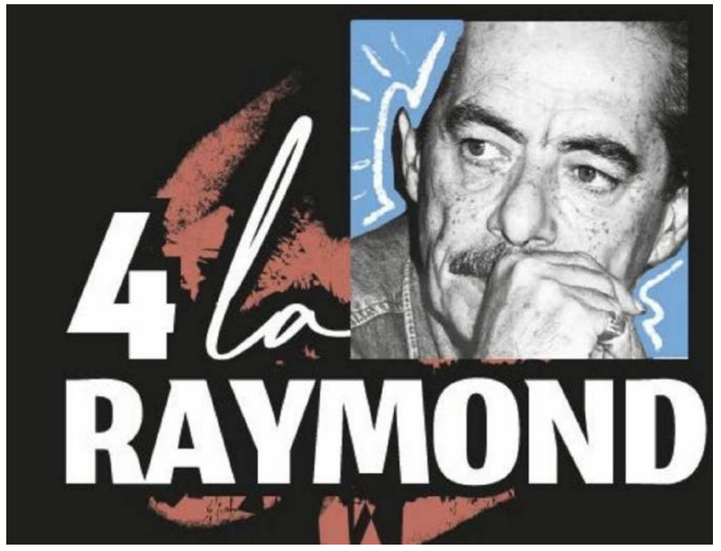

اربعة لريمون".

> **مسرح ريمون جبارة يتحدث عن الانسان في لبنان والذل الذي يتعرض له**

المتمرد تحت عنوان "4 لريمون". اربعة من طلابه وزملائه يعيدونه الى الخشبة ببادرة من المخرج والكاتب والممثل والاستاذ الجامعي غابريال يمين الذي يكمن هاجسه الاكبر منذ غياب جبارة في كيفية ايصال فكره الى الجيل الجديد.

فريق العمل المؤلف من 4 مخرجين و30 ممثلا و15 تقنيا معظمهم من خريجي معهد الفنون عمل باتقان على نشر روح جبارة في هواء المسرح فاعيد انتاج اربع مسرحيات كتبها جبارة: "تحت رعاية زكور" (اخراج غابريال يمين) عرضت بين 28 شباط و 8 اذار، "بيكنيك ع خطوط التماس" (اخراج جوليا قصار) بين 10 و 18 اذار، "زرادشت صار كلبا" للمخرج انطوان الاشقر التي عرضت بين 20 و27 اذار

و"قندلفت يصعد الى السماء" للممثل والمخرج رفعت طربيه بين 30 آذار و7 نيسان.

يطرح جبارة في "تحت رعاية زكور"، اخراج غابريال يمين ومشاركة 16 ممثلا من بينهم كارلوس عازار، طارق تميم، جورج دياب، وماريا دويهي، جدلية مثيرة، مواضيع قديمة من عمر اهل الكهف كانت تشكل عبئا و"تتطربق" على صدر المؤلف.

في "بيكنيك ع خطوط التماس" من اخراج جوليا قصار، يعيد جوزف اصاف، جلال مروان الشعار، جوليان شعيا، مايا يمين، لين بواب، وجورج عون المسرحية الى الحياة وهي تروي خروج والدين في نزهة الى خطوط التماس في اسواق بيروت ليزورا ابنهما المقاتل، غير آبهين بمخاطر الخطف القنص او القصف. هناك، يلتقيان بمقاتل من الجهة المعادية فيقع اسيرا لديهم. وسرعان ما تتحول العدائية له الى علاقة ود ومحبة، فالمقاتلان متشابهان ولا احد يريد الحرب.

قدم انطوان الاشقر "زرادشت صار كلبا" مع سلمى شلبي، رامي عطا الله، ميران ملاعب، انطوان الاشقر وجوزف ساسين. كتبها جبارة خلال الحرب الاهلية اللبنانية وهي عبارة عن اربع مسرحيات قصيرة. اما مواضيعها فكانت تتناول ذل الانسان ان من حيث الخوف الذي يرافقه حتى مماته، الصادر من السلطتين الدينية والعسكرية، او موضوع الميليشيات زمن الحرب وكيف كانت الناس سائرة خلفها كقطيع غنم، وهناك ايضا موضوع الرجل المثقف وكيف تحول الى كلب اثناء الحرب وذلك لاطعام اولاده. كل هذه المواضيع تناولها رمون جبارة بشكل كوميدي، ساخر ولاذع، وكاريكاتوري حتى الوجع.

"قندلفت يصعد الى السماء" اخراج رفعت طربيه ويشارك فيها الممثلون محمد حجيج، وطوني فرح، وسام بتديني، ويارا زخور. كوميديا سوداء تنطلق من حكاية صديقين ساذجين مقتنعين بمواهبهما اللامتناهية كممثلين يقعان في حب جارتهما لوسيا، لكنهما يخشيان ان تصبح عائقا في طريق نجاحهما، فيطلبان المساعدة من القندلفت.

في هذا السياق، اجرت "الامن العام" حوارا مع المخرج والكاتب والممثل غابريال يمين، الذي رافق جبارة مسرحا وصداقة طوال سنوات ◄

المقال

لتحيا من جديد

في ستينات القرن الماضي حقق المسرح اللبناني انجازات كبيرة وتطورا مميزا. فقد شهدت تلك الفترة تأسيس ثلاثة مسارح: مسرح بيروت في عين المريسة، ومسرح شوشو في ساحة البرج، ومسرح الاشرفية. ثم كرت السبحة بظهور مسرح اندونيسيا، المارتينز، الاليزيه، البيكاديللي، المسرح الكبير، المسرح الاختباري ومسرح المدينة. وما لبثت ان ظهرت بعدها اتجاهات ومدارس متنوعة في المسرح. وقدمت المسرحيات باللغات الاربع: العربية، الفرنسية، الانكليزية والارمنية، في ظل بيئة لبنانية حاضنة للتنوع الديني، الطائفي والاجتماعي، وارض خصبة للانتاج الفكري المسرحي المتنوع. وكانت بيروت المسرح الكبير، الذي دارت على خشباتها، تجارب مسرحية متنوعة اسست لمدارس متناقضة اثرت على المسرح اللبناني والعربي. انه المسرح الحديث الذي صنعه منير ابودبس، ريمون جبارة، انطوان ولطيفة ملتقى، روجيه عساف، نضال الاشقر، شكيب خوري، جلال خوري، شوشو، برج فازليان وغيرهم من رواد المسرح الذين شكلوا الوجه المضيء من جنون بيروت الابداعي. الا ان جانبا كبيرا من ذاكرة المسرح اللبناني غير مسجّل لا بالصوت ولا الفيديو، وكانت تلك المسرحيات تعرض على الخشبة ومن ثم تزول، اذ لم يكن الفيديو شائعا وبعض النصوص لم تكن مكتوبة. ولو امكن التلفزيون ان يصور اعمالهم الاولى، لكانت في اقل تقدير مدرسة لطلاب المسرح.

فكيف السبيل الى احياء تراث هؤلاء المؤسسين؟

اثبتت "تجربة 4 لريمون" نجاحا يقتضي تعميمه على الآباء المؤسسين للمسرح اللبناني ورفع الستارة عن اعمالهم على المسارح الاكاديمية لطلاب الجامعات وعلى المسارح العامة فيخلدون اصحابها بتجسيد نصوصهم جيلا بعد جيل. على امل ان يساهم ذلك في اعادة ابي الفنون الى الواجهة ويؤسس لشريحة واسعة من متذوقي المسرح مستقبلا، لاسيما ان رواد المسرح اللبناني والعربي قد رصدوا ان طلابا كثرا ليسوا متمكنين من ادوات المسرح، وهم يعانون من مشاكل في الصوت ولغة الجسد والاداء والوعي المسرحي.

اليوم، المسرح يقاوم رغبة من محترفيه في الحفاظ على استمرارية وجودهم الابداعي على رغم كل التحديات التي تواجه المسرحيين. وبتنا نفتقد النص المحبوك باستثناء مسرحيات معدودة، واصبحنا نرى نمطا واحدا في التمثيل، ومجموعات صغيرة كل منها تقيم نشاطها الخاص بمفردها. فيما يغيب دعم التأليف والتوثيق، اضافة الى الضعف في مستوى الكليات والمعاهد المسرحية في لبنان وتراجع عددها، وقلة المحترفات المسرحية التي تضم اختصاصيين في اعادة صوغ الفنان صياغة حديثة.

التحديات صعبة وكثيرة امام الجيل الجديد وهم في حاجة الى تجارب اكثر، ومناهج اكاديمية لتعليم المسرح ليبدعوا ويخرجوا بما هو جديد ونوعي، وهم في حاجة ايضا الى تمويل ودعم ليؤسسوا حالة مسرحية ثقافية تتعدى حدود لبنان.

بين متفائل بمسرح لبناني متطور وواسع المدى، ومتشائم يرى ان المسرح اللبناني في تراجع ونكوص وهبوط، يبقى الامل قائما في جيل جديد يعيد للمسرح اللبناني تألقه وعنفوانه وازدهاره، بمساعدة جيل من المسرحيين عاصر رواد المسرح اللبناني ليبث هواء ابداعهم في صفوف الجيل الجديد.

وكم من نصوص لمؤسسي المسرح تنتظر من يسحبها من الكتابة الى الخشبة لتحيا من جديد.

ميرنا الشدياق

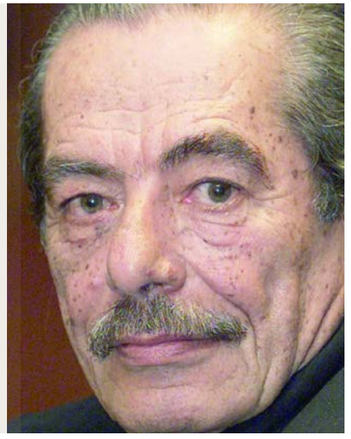

الراحل الحاضر ريمون جبارة.

اعماله

•"لتمت دسدمونة" (1970)، "تحت رعاية ذكور" (1971)، "شربل" (1977)، "زرادشت صار كلبا" (1978)، "محاكمة يسوع" (1979)، "قندلفت يصعد الى السماء" (1980)، "دكر النحل" (1983)، "صانع الاحلام" (1985)، "من قطف زهر الخريف" (1992)، "بيكنيك على خطوط التماس" (1997)، "مقتل ان واخواتها" (2012).
• اخرج للاخوين رحباني "المؤامرة مستمرة" (1980) والمنصور الرحباني "صيف 860".
• اعاد عرض "زرادشت صار كلبا" و"شربل" مع جيل جديد من الممثلين. واخرج مسرحيات لصديقه الكاتب انطوان غندور: "يوسف بك كرم" و"طانيوس شاهين" و"نقدم لكم وطن".
• ترأس مجلس ادارة تلفزيون لبنان، وتولى فيه منصب المدير العام ايضا (1986 - 1990).
• درّس مادتي التمثيل والاخراج (1969 - 1990) في معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية، وكذلك في جامعة الكسليك حيث لم يتوقف عن التدريس فيها الا في الفترة الاخيرة من حياته.
• كتب سلسلة مقالات في الملحق الثقافي لجريدة "النهار".

◄ وهو يعتبره والده الفني والروحي. فتحدث عن هذه التحية وعن فكر جبارة الذي اسس مدرسة في المسرح اللبناني والعربي.

■ ما هي رسالتكم اليوم من خلال عرض 4 مسرحيات لريمون جبارة؟
□ هي اكثر من تكريم. هي خطوة ليتعرف الجيل الجديد على فكر جبارة واعماله وكتاباته واخراجه وعلى طريقته الخاصة. كما ان ثمة اشخاصا من الرعيل القديم لم يتعرفوا كثيرا على ريمون جبارة في حينه. من هنا وردت الفكرة لاحياء افكاره وتم اختيار المسرحيات الاربع لعرضها امام الجمهور.

■ كنت من المقربين من ريمون جبارة حتى انك كنت احد القليلين الذين تمكنوا من قراءة خطه؟
□ كان يقول دائما ان لا احد يستطيع قراءة خطي غير غابي، لأن خطه كان فعلا "كتير عكش"، كما ان بعض نصوصه كانت تنقصها بعض الكلمات التي كان ريمون يعتقد انه دونها على الورق في حين انها كانت مدونة في رأسه فقط، وبالتالي من يريد قراءة نصوصه كان عليه ان يخمّن في رأسه الكلمات الناقصة. كنت اقول له: تعطيني نصوصك ومن ثم عليّ ان املأ الفراغ بالكلمات المناسبة، فكيف لي ان افعل ذلك؟ رحيله شكل فراغا كبيرا، لكنه لا يزال يعلمني وينبهني الى امور من خلال مسرحه. اذا استطعت في البداية قراءة خطه، اليوم يحالفني الحظ في قراءة رأسه لأن المسرحية التي اقدمها لم اشاهدها من قبل اذ كنت صغيرا في السن عندما عرضت، فاضطررت اليوم الى تفكيكها حتى استطيع معرفة ما كان يجول في فكره. لم اتعب كثيرا ولم افكر كثيرا، لانني كنت اعلم جيدا افكاره.

■ كيف اخترتم المسرحيات؟
□ راودتني الفكرة منذ اكثر من ثلاث سنوات الا ان التنفيذ تأخر بسبب الازمات المتتالية الاقتصادية وكورونا وانفجار 4 آب والحرب في غزة وفي الجنوب. اما اليوم، فقد آن الاوان لعرض المسرحيات رغم كل الظروف التي نعيشها. الفكرة في الاساس كانت تدور حول عرض مسرحيتين من مسرحه الجديد، اي بعد اصابة ريمون بالشلل النصفي حيث رافقته بشكل دائم، وعرض مسرحيتين من المسرحيات القديمة التي لم يواكبها جيلنا. كنت ارغب في وجود مخرجَين عاصرا ريمون في الفترة الجديدة، ومخرجَين عاصرا ريمون في الفترة القديمة، يعلمون جيدا مسرحياته او لعبوا فيها. المسرحيتان من الجيل الجديد "بيكنيك على خطوط التماس" و"زرادشت صار كلبا"، والمسرحيتان القديمتان "تحت رعاية زكور" و"قندلفت يصعد الى السماء". كنت اود ان نعرض "دكر النحل"، لكن رفعت طربيه الذي اراد اخراج المسرحية اقترح مسرحية "قندلفت يصعد الى السماء" وهو الذي يعرف جيدا هذه المسرحية.

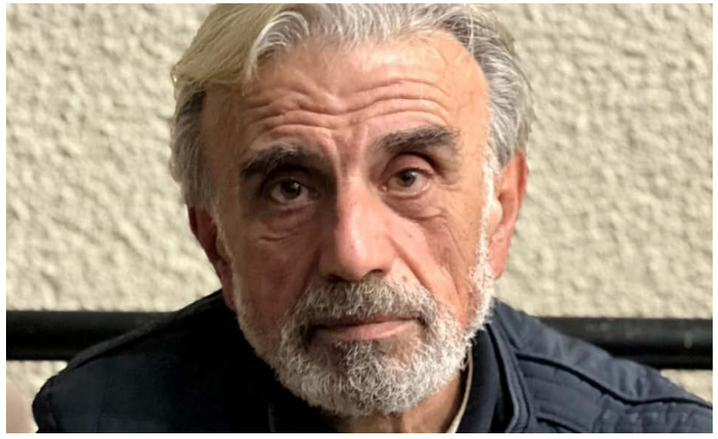

غابريال يمين.

ادرّس اليوم طريقة ريمون جبارة وفكره

■ ما الذي يعرفه اليوم الجيل الجديد عن ريمون جبارة؟ وكيف يتفاعل مع مسرحياته؟
□ لقد واكب زملاء عدة استاذ ريمون ان كان من خلال تلقيهم الدراسة منه او عبر اعماله وهو لم يغب يوما عن الجامعة لأننا لا نزال موجودين. انا ادرّس اليوم طريقة ومدرسة ريمون جبارة. لدى طلابي فكرة نظرية عنه، وحان الوقت اليوم ليتعرفوا عليه جديا من خلال اعماله ومسرحياته.

■ ما هي مدرسة ريمون جبارة؟
□ لا استطيع ان اعبّر بطريقة ادبية عما قدمه ريمون جبارة. ما اعرفه هو تقديم اعماله. من يريد ان يعرف ما الذي قدمه ليشرفنا على المسرح. مسرح ريمون جبارة وفكره يتحدثان عن الانسان في لبنان، ومدى الذل الذي يتعرض له والعذاب الذي يواجهه، وهو امر لم يغب يوما عن فكر ريمون لذلك فان مسرحه يتحدث عن الناس. عدد كبير من المثقفين والكتاب وصفوا مسرحه بالعبثي وكان هو يردد امامي دائما: لا اعلم لماذا يصفون مسرحي بالعبثي، فيما مسرحي شعبي يتحدث عن وجعهم ويومياتهم؟ هذا هو ريمون في اختصار.

■ كيف تصف مسرح اليوم؟
□ انا مسرور ليس فقط لانني اعرض مسرحا لريمون بل ايضا لأن الاقبال لا بأس به على المسرح. الا ان المسارح التي نستطيع ان نعرض على خشبتها قليلة، وهنا اقصد المسارح الثقافية وليس المسارح الكبيرة. لا اعلم ما الذي يجب القيام به لتعزيزها بثلاثة مسارح على الاقل تضاف الى تلك التي تعمل اليوم مثل مونو ودوار الشمس والمدينة. انا متفائل بسبب اقبال الجمهور والطلاب الجدد والمسرحيين على "4 لريمون". لكننا اليوم في امس الحاجة لايجاد طريقة ما تفتح امامهم مجالات اضافية من خلال زيادة عدد المسارح ودعم تجاربهم المسرحية بالقليل من المال حتى يتمكنوا من العمل والابداع.

■ اذا اردت اطلاق صرخة عن وضع الممثل في لبنان ماذا تقول؟
□ تعتير، اذ ان الانتاجات التلفزيونية الى اضمحلال، والانتاج اللبناني غير موجود. اذا قرر احدهم القيام بعمل ما فان المسارح قليلة، والمسرحيون الكبار الذين اعتدنا ان يقوموا باعمال ضخمة لا يجرؤون اليوم على القيام بها لانهم لا يعلمون كيف سيستقر الوضع الاجتماعي حتى يتمكنوا من الاستمرار. نحاول مع زملائي والنقابة والطلاب الجدد والممثلين الجدد ابقاء المسرح حيا من اجل الاستمرار. المطلوب من المقتدرين المساعدة للبقاء والا الاضمحلال. المطلوب من شركات الانتاج المساهمة بعمل او اثنين لبنانيين محض، ونحن نتفهم ان السوق هو في الخارج اكثر من الداخل وهم مضطرون للقيام باعمال مشتركة، ولكن لنا ايضا دورنا ما اجل الاستمرار. قال لي ريمون جبارة قبل رحيله انا مطمئن لأن هناك ممثلين مثلك ومثل جوليا ورفعت وغيركم سيكملون المسيرة. انا اليوم اسأل من سيكمل مسيرتنا، لذلك يجب تجهيز الجيل الجديد ليكملوا ما بدأناه، اذ ان الفرص لم تعد متاحة في بيروت كما في السابق.

م. ش

ريمون جبارة بين طلابه غابريال يمين وجوليا بطرس ورفعت طربيه.

من مسرحية "تحت رعاية زكور" المعادة.

و"بيكنيك على خطوط التماس".